

ألف حكاية وحكاية (٣٩)

أم فوق الجليد

وحكايات أخرى
يرونها
يعقوب الشاروني



مكتبة مصر

رسوم
عبد الرحمن بكر

أم فوق الجليد

في نهاية القرن الماضي، أثناء فصل شتاء شديد البرودة، كانت هناك عربة تجرها الخيول، تعبر أحد الممرات الضيقة الطويلة في جبال الألب، وبداخلها سيدة مع طفلها الصغير.

وفجأة انخفضت درجة الحرارة جداً، فالتفت السائق، فرأى السيدة قد أوشكت أن تتجمد من البرد. وحاول أن ينقذها، فلم يستطع، فأدرك أن البرد يخدر جسمها، وأنه إذا لم يسرع بعلاجها، فستموت.

عندئذ سارع وأخذ الطفل منها، ودلك جسمه جيداً، ثم لفه بأغطية صوفية ثقيلة، ووضعته في ركن من العربة. ثم حمل السيدة، ونزل بها من العربة، وظل يجديها بعنق فوق الثلج، حتى تنبّهت قليلاً وهو يصيحُ بها:

" تنبهي، وإلا فلن تشاهدي ابنك بعد الآن !! "

فصاحت في لهفة:

" ابني... أريد ابني... "

عندئذ تركها السائق، وعاد إلى العربة، وانطلق بها، لكن بسرعة

معقولة.



وبدأت الأم تجرى وراء العربية وهي لا تزال تحت تأثير البرد
المُخدر ، وصورة ابنها أمامها ، كأنما تجذبها بحبال خفية .
وأخيراً تنبّهت تماماً ، وأخذت تجرى بكل قواها وهي تصرخُ
وتقول :

" ابني .. ابني .. خطفوا ابني ! "

فلما تأكّد السائق أنها استردّت كامل وعيها ، واطمأن إلى أن
الجرى والحركة قد أعادا النشاط إلى دورتها الدموية ، أوقف العربية
واركبها .



وعندما احتوتِ الطفلَ ثانيةً بينَ ذراعيها ، وهى تضمُّهُ إلى صدرها ، التفتتْ إلى السائقِ ودموعُ الشكرِ تملأُ عينيها ، وقالتُ :
" لقد ظننتُ أنك تريدُ أن تُخطفَ ابنى .. وماأنتى هذه الفكرةُ بالقوةِ والعزيمةِ ... بل بأقوى القوةِ ، وبأشدَّ العزيمةِ ، فوجدتُ نفسى أنسى الضعفَ والبردَ ، وبزايلى الخدرُ والإعياءُ ، وانطلقتُ أجرى كما لم أجِرْ من قبلُ فى حياتى ... وهكذا أنقذتُنِي من الموتِ . "

قالَ السائقُ :

" بل أنقذَكَ حبُّكَ لابنِكَ ، ولهمُك عليه . "



لماذا فَقَدَتِ الثمار والأغصان !!؟

كَانَتْ هُنَاكَ حَدِيقَةٌ وَاسِعَةٌ ، مَمْلُوءَةٌ بِأَشْجَارِ الْفَاكِهَةِ ، وَمُحَاطَةٌ بِسُورٍ مَرْتَفِعٍ . وَفِي الرَّبِيعِ كَانَتْ الْأَشْجَارُ وَالنَّبَاتَاتُ تَكْتَسِي بِالأَوْرَاقِ وَالْأَزْهَارِ . وَفِي الصَّيْفِ ، تَمْتَلِئُ بِالثَّمَارِ . وَكَانَتْ مِنْ بَيْنِهَا شَجَرَةٌ مَانِجُو .

قَالَتْ شَجَرَةُ الْمَانِجُو ذَاتَ يَوْمٍ : "لِمَاذَا يَجِبُ أَنْ أَظِلَّ مُخْتَبِئَةً فِي هَذِهِ الْحَدِيقَةِ !!؟ أَرِيدُ أَنْ أَمْدُ فُرُوعِي إِلَى الطَّرِيقِ ، لِكَيْ يَرَى الْجَمِيعُ وَفَرَةً ثَمَارِي ."

وَهَكَذَا أَخَذَتْ تَمْدُدُ فُرُوعَهَا الْجَمِيلَةَ شَيْئًا فَشِينًا مِنْ فَوْقِ السُّورِ ، حَتَّى يَرَاهَا الْجَمِيعُ . وَلَكِنْ عِنْدَمَا أَصْبَحَتْ فُرُوعُهَا مُحْمَلَةً بِالثَّمَارِ ، بَدَأَ الرَّاغِبُونَ وَالْغَادُونَ يَقْطِفُونَهَا . . . وَعِنْدَمَا لَمْ تَتِمَكَّنْ أَيْدِيهِمْ مِنَ الْوَصُولِ إِلَى الثَّمَرِ ، كَانُوا يَسْتَخْدِمُونَ الْعَصَى أَوِ الْأَحْجَارَ !!

وَخِلَالَ فِتْرَةٍ قَصِيرَةٍ ، كَانَتْ شَجَرَةُ الْمَانِجُو ، الَّتِي صُرِفَتْ بِالْعَصَى وَرُجِمَتْ بِالأَحْجَارِ ، قَدْ فَقَدَتْ الثَّمَارَ وَالْأَوْرَاقَ !!

قَالَتْ الشَّجَرَةُ لِنَفْسِهَا ، وَهِيَ تَتَأَمَّلُ فُرُوعَهَا الْمَشْوُوهَةَ الْمُدَلَّاةَ

خَارِجَ السُّورِ :

"لقد أخذت أتيافى بما عندي في غير ضرورة ، فأثرت في

نفوس الآخرين الرغبة في تحطيمي ، والاستيلاء بأية وسيلة على كل

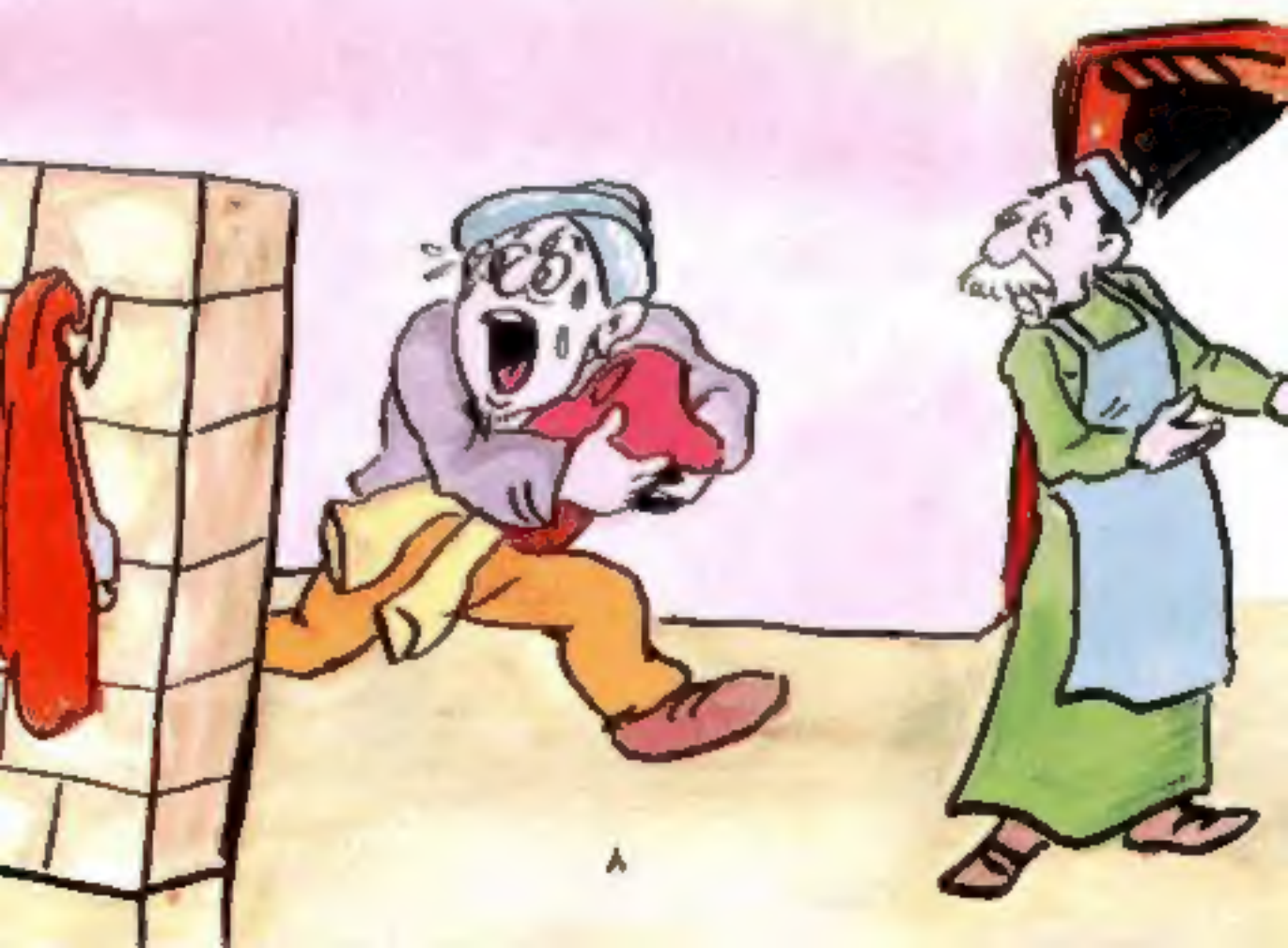
لما عندي !!"



جحاح يعلم !!

دخل جحاح إلى الحمام العام ، وعندما تأهب للخروج ، اكتشف
أن ثيابه قد سرقت ، فرفع صوته صائحا :
" أنا أعلم ... أنا أعلم ... "
فسمعه اللص ، ففرع إذ ظن أن جحاح قد عرفه .
وفي هدوء اقترب اللص من جحاح ، وأعاد إليه ملابسه وهو يقول

له :



"سمعتك تقول إنك تعلم ، فما الذي كنت تعلمه ؟"

أجاب جحا :

"كنت أعلم أنني بغير ثيابي ، سأموت من البرد !! "



شبر واحد!!

تَحكى كُتبُ العربِ ، أن الأصمعيّ ، عالمُ اللّغة (٧٤٠-٨٣١م) ،
دخَلَ ذاتَ يومٍ على الخليل بن أحمد ، وهو استاذُ الأصمعيّ في
علوم اللّغة (٧١٨-٧٩١م) ، وكان جالسًا على حصيرٍ صغيرٍ ، فقال له
الخليلُ مرحبًا :

"تفضّلْ ، تعالِ اجلسْ بجواري ."

فقال الأصمعيّ :

"أخافُ أن أضيقَ عليك المكانَ ."

قال الخليلُ وهو يبتسمُ :

"الدنيا بأسرها لا تسعُ متباعدتين ، ولكن شبرًا واحدًا يسعُ

متحابّين !!"

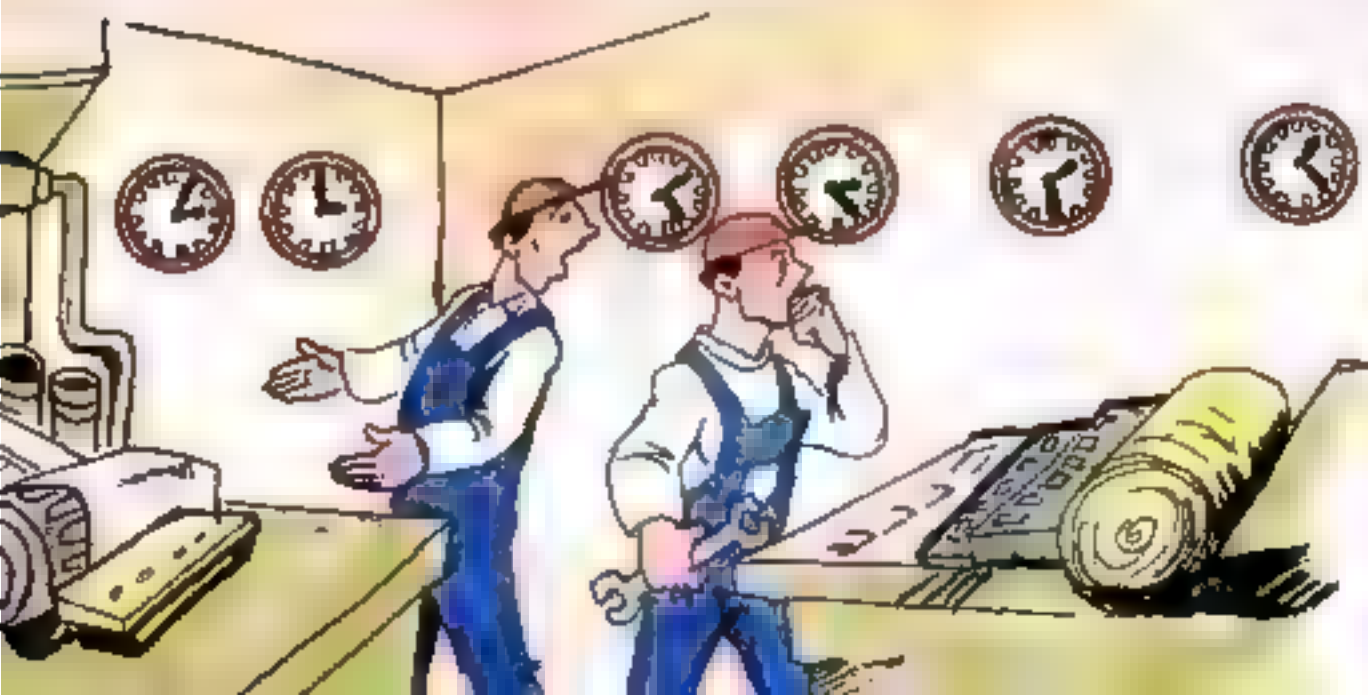


عشرات من الساعات

بعد أن افتتح المخترع الكبير "توماس إديسون" مصنعهُ الأول بعُتْمَةٍ قصيرة ، لاحظ أن العمال اعادوا النظر دائماً إلى الساعة الوحيدة المُعلَّمة على حائط المصنع ، وكانهم يعطلون الانتهاء من عملهم .

شعر إديسون بالصيق ، لكنه لم يُصرِّح باستيائه لمُستخدميه ، بل أحصر عشرات من الساعات ، وعلَّمها في كل أنحاء المصنع ، وجعل كل ساعة تُشير إلى وقتٍ يختلف عن الوقت الذي تُشير إليه الساعات الأخرى .

ومد ذلك الوقت ، وجد العمال أن النظر إلى ساعات المصنع يُسببُ لهم ارتباكاً شديداً ، فلم يقد أحدٌ منهم يهتم بالنظر إلى الساعة .



إنهم يرفضون الدواء

يُحكى أنه فى حريرة بعيدة ، كانت تعيش ساحرة ، اعتادت أن تحول كل رجل يزل على حريرتها إلى حيوان فتوحش . إلا أن قائد سعية توصل إلى شراب يوقف عمل سحر الساحرة ، فلا تستطيع تحويله إلى وحش ، بل كان يستطيع أيضا بهذا الشراب ، أن يعيد وحوش الحريرة إلى أصلها الإنسانى .

زل الرئان إلى الحريرة . وفى سعادة ذهب إلى الأسد ليُعطيه من الشراب الذى يُنطل سحر الساحرة . لكن الأسد لم يُرحب بأن يتذوق ذلك الشراب .

قال الأسد : " لقد كنتُ مُحرّد عامل فقير ، لا قيمة لى . والآن أصبحت ملكاً على كل الحيوانات ، نهائى ونحاف منى . سأبقى كما أنا . "

ودهب الرئان إلى الدب . قال الدب : " حقاً . لقد كنتُ إنساناً .. ولعل شكلى كان أفضل ، لكنى لم أجد فناءً ترصى بى روحاً لها ... أما الآن ، فقد تروخت دبةً نطيعى ، وبحسّ تعيش مقافى هدوء ! " هنا ارتفع صوت ثالث يقول :

" وأنا أيضاً أرفض أن أعود إنساناً . لقد أصبحت دنياً ، وأصبح

من حقّي أن أفرسَ ما أشاءُ من حمالٍ وخرافٍ . لماذا أعودُ إنساناً ،
فيمتنعني القانونُ من الاستيلاءِ على دجاجةٍ ؟!

عندئذٍ قالَ الرّبانُ لتفسيه في أسفٍ واهي : " الآنَ فهمتُ لماذا
يتحوّلُ بعضُ الناسِ إلى وحوشٍ ! "



وفاء الصقر و الديك

تقابل صقر و ديك ، فقال الصقر للديك :

" يا ديك ، أنت قليل الوفاء . "

قال الديك : " لماذا تقول هذا عني ؟ "

قال الصقر :

" إن أصحابك يأخذونك وأنت مجرد بيضة ، فيهتمون بك إلى

أن تخرج منها فرخاً صغيراً ، ثم يُطعمونك بأيديهم يوماً بعد يوم .

لكنك متى كبرت ، لا تسمح لأحد بالاقتراب منك . وإذا رأيت

أحدًا من أصحابك يقترب منك فإنك تطير وتصيح ، وتقف فوق

الحوائط العالية بعيداً عن مُتناول يديه .

أما أنا ، فيأخذونني من الجبال وقد كبرت سني ، ولا آكل

كثيراً ، ويربطونني يوماً أو يومين ، ثم يطلقونني على الصيد ، فأطير

إليه ، وأمسكه ، وأرجع به إلى صاحبي ..

إنهم يبذلون معك جهداً كبيراً ، ثم تهرب منهم . أما أنا فلا

يبذلون معي تلك العناية ، ومع ذلك ، فلا أخاف ، ولا أهرب منهم . "

فقال الديك :

" لو أنك رأيت من الناس ما أرى ، لكنت أسوأ حالاً مني عندما

يقترب أحدهم منك . فلو أنك رأيت صقراً يشوونه على النار ، لما

رجعت إلى أصحابك أبداً .. "



أكلها إلا واحدة

بعد أن بحثت الأم كثيرا في المطبخ ، نادت طفلها "هشام" ،
وسأته :

" لقد وضعت ثلاث تفاحات في أحد أدراج دولاب المطبخ ،
لكنني وجدت منها تفاحة واحدة فقط . هل تعرف السبب ؟ "
وفي بساطة أجاب هشام الصغير :
" لأن المطبخ كان معتماً ، فلم أجد هذه التفاحة الثالثة . "

